ان أعود اليه لاحتفظ بوجودي ، فكان الحلم هو المكمل . وهذا ما يجعلني في حالة حلم دائم محدودا بمبررات الضرورة ، لا منطلقا بأجنحة الوهم المترف . تصير الارض صخرة وعصفورا في آن واحد . فالواقع على حالته الراهنة — حتى وان لم يكن قانونيا — لا يعود جزءا منك بدون رباط الحلم الذي يصير أكثر واقعية من شجرة ثابتة . والحلم على حالته العامة — وان لم يكن مترفا — لا يعود حافزا لك بدون ارتباط بصخرة مهما تغيرت أشكالها . صحيح ان الاشياء لا تكون مقدسة الى هذا الحد الا اذا كانت حالتها محكا لانتمائك الى الوجود ، الا اذا كانت موضع صراع . ولكن كونك محروما منها ليس هو الحيوية الوحيدة لثمنها العزيز الى هذا الحد . والا ، فكيف نفهم اقدام فقراء البلدان المستقلة على الموت في سبيل العودة الى فقر قديم ؟ ثمة شيء ننساه في زحمة التسابق على حفظ الجمل الثورية الجميلة . هذا الشيء هو الكرامة البشرية . ليس وطني دائما على حق . ولكنني لا أستطيع أن أمارس حقا حقيقيا الا في وطني .

— لماذا تتحاشاني .. هل تبتعد عن الايام القديمة ؟

● لأفسر لك اني لا أدافع عن سعادة قديمة ، ولا أتغنى بتعاسة ماضية . ليس للعمال وطن ؟. ولكن للمحرومين من الوطن وطنا . ومن حسن حظنا — ربما — ان وطننا حق وجمال . انه لم يأخذ هذا الشكل اللاذع في جماله من اسقاطات حرماننا عليه . انه حلم في واقعه وواقع في حلمه . نحن لا نشتاق الى قفر . ولكننا نشتاق الى جنة . نشتاق الى ممارسة انسانيتنا في مكان لنا .

— قف عند هذه النقطة !

● لقد وقفت حياة آلاف الضحايا والشهداء عند هذه النقطة . لم يكونوا مخدوعين . بعضهم ما رآه ، فمات من عدوى الحب . ولكن الخارطة ليست على خطأ دائما ، وليس التاريخ على خطأ دائما . لماذا اجتمع الانبياء والفقراء والغزاة على حبه حتى درجة القتل ؟. ان الرقصة الجنسية التي يمارسها البحر الابيض المتوسط مع خاصرة الكرمل تنتهي بولادة بحيرة طبريا . وهناك بحر ، سموه البحر الميت لانه ينبغي أن يموت شيء في هذه الجنة لكي لا تصبح الحياة مملة . ومن شدة ما ازدحم الجليل الاعلى بالغابات ، كان لا بد أن تبرهن القدس على أن الصخور قادرة على امتلاك حيوية اللغة. هذا هو وطني. ولم يكن والد صديقي المقيم في بيروت يبالغ حين شم تفتح أزهار الليمون في بيارات يافا في موعدها .. ومات .

— هو الفردوس المفقود ؟

● احذر هذا المصطلح. لان القناعة به تسليم بحالة قانونية ووجودية بلغت حد النهاية. الفرق بين الفردوس المفقود بالمعنى المطلق وبين الفردوس المفقود بالمعنى الفلسطيني هو خلو حالة الحنين والانتماء النفسي والشرعي من منطقة الصراع . ما دام الصراع قائما فان الفردوس لا يكون مفقودا بل يكون محتلا وقابلا للاستعادة . لا أعني الارتكاز الى مفهوم خسارة المعركة وعدم خسارة الحرب الذي ينطوي على دفاع عن النفس امام خسارة المعركة . ولكني أعني أنه ليس بوسع الفلسطيني أن يعامل وطنه بهذا المفهوم كما يعامل العرب الاندلس وكما ينتظر المؤمنون الجائزة . ان بين فلسطين والاندلس فرقا يشبه الموت . وان بعض السياح الثوريين ممن ينظرون الى المسألة من زاوية التشابه حسن النية وسيىء النتيجة ينطلقون من موقع الجمالية الشكلية وضبط التضامن . انهم سيكون أكثر منك لو سلمت بهذا التشابه وحاصرت حقوقك ووجودك بسياج الحنين الملهم . ولكن حين يلجأ الحنين الى البندقية تعبيرا عن بعد المسافة بين